٢٤٦

نفرض له ذلك فقال **وعصمة الباري** وهي لغة المنع والحماية ومنه عواصم الطير
لمنعها انفسها ممن يصيدها وعصام القربة لوكايها لانه يمنع ما فيها
عن الانسياب واصطلاحا بناء على اصلنا معاشر اهل السنة من
اسناد الممكنات الى الفاعل المختار ابتداء ان لا يخلق الله في
المكلف الذنب مع بقاء قدرته واختياره قاله السعد وهذا معنى
قولهم هي لطف من الله تعالى بالعبد يحمله على فعل الخير ويزجره
عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء ولهذا قال الشيخ ابو
منصور رحمه الله العصمة لا تزيل المحنة قلت ولا منافاة
بين تفسيره اياها كما في شرح العقائد بامر عدمي وهو ما مر
وتفسيره اياها في شرح المقاصد بامر وجودي حيث قال
وحقيقة العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها لما انه
لفظ العصمة كالشجاعة وسائر الملكات يطلق تارة على الاثار
التي تنشأ عنها في الجملة وتارة على مبدأ تلك الاثار فالاول
ناظر للاول والثاني للثاني وعرفها الحكماء بناء على اصلهم من
الايجاب الذاتي واستفيد اذ الفوايد بانها ملكة تمنع عن
الفجور فان قلت فقد عبر بعض اصحابنا بانها ملكة
نفسانية تمنع صاحبها عن الفجور بل قالوا انه احسن تعاريفها
قلت من عبر منهم بذلك فانما مراده انها امر يحصل بمجرد اللطف
والفضل يخلق الله تعالى عنده لا به للعبد قدرة فعل الخير
ولا يخلق فيه الذنب فيكون ذلك كالزاجر عن المعصية نعم
قول من قال انها خاصية في نفس الشخص او في بدنه يمتنع
بسببها صدور الذنب عنه فاسد عقلا ونقلا اما الاول
فلانه لو كان الذنب ممتنعا له لذلك لما استحق المعصوم مدحا
على عصمته ولا امتنع تكليفه بتركه واللازم باطل والا لبطل
حكمة الامر والنهي مع الثواب والعقاب واما الثاني فبمثل
قول الله تعالى في حق نبيه انما انا بشر مثلكم وقوله تعالى
ولولا ان ثبتناك الاية فان الاية الاولى تدل على ان النبي
صلى الله عليه وسلم مثل الامة في جواز صدور المعصية
منه والاية الثانية تدل على ان الله تعالى ثبته على عدم
الركون اليهم والا لركن اليهم فيكون الركون اليهم الذي هو
ذنب غير ممتنع تنبيه لوح في الطوالع الى ان الهيئة
النفسانية لا تصير ملكة تمنع عن الفجور الذي هو ارتكاب
المعاصي واجتناب الطاعات الا بعد علم صاحبها بمثالب المعاصي

ومعايبها

ومعايبها ومناقب الطاعات ومفاخرها لان الشخص اذا علم مثالب
المعاصي ومناقب الطاعات فرغب في الطاعات ورغب عن المعاصي
واطاع ولم يعص صارت تلك الهيئة راسخة وتتأكد هذه
الملكة في الانبياء بتتابع الوحي على التذكر لذلك العلم والاعتراض على
ما يصدر عنهم ولو سهوا او المعاتبة حتى ترك الاولى فانه متى صدر
عنهم شيء سهوا او تركوا ما هو اولى لم يتركوا مهملا بل يعاتبون وينبهون
على ذلك ويضيق الامر فيه عليهم والله اعلم قال شيخ مشايخنا ابن
العبادي رحمه الله في اياته ما حاصله ان القوم عرفوا العدالة
بانها ملكة تمنع عن اقتراف الكبائر وصغائر الخسة والرذائل
المباحة واتفقوا على حصولها لكثير من احاد الامة وانها غير
مختصة بالانبياء وحينئذ يلزم ثبوت العصمة لاحاد الامة عن
الكبائر وصغائر الخسة والرذائل المباحة فيلزم اما بطلان
تعريف العدالة او اختصاص العصمة بنوع الانبياء من البشر قال
اللهم الا ان يراد بالملكة هنا ما يمنع ابدا بخلافها
في العدالة اذ قد تحصل في وقت دون وقت كما يفهم من كلامهم
وقد يدعى ان العصمة كذلك بدليل اختلافهم في حصولها قبل
النبوة الا ان يجاب بان المراد ما يمنع ابدا بعد حصوله وقد
يرد عليه قضية الملكين الا ان يراد انها تمنع ابدا ما دامت
حاصلة وما صدر عن الملكين انما صدر بعد سلبها اذ لا مانع
من انه تعالى يخلق تلك الملكة ثم يسلبها لا يقال اذا جاز سلبها
ارتفعت الثقة بصاحبها من نبي او ملك لانا نقول يجوز ان
يجري عادته تعالى بانه لا يسلبها الا مع الاعلام بذلك فما لم
يحصل الاعلام لا يحتمل عادة سلبها انتهى ومن كلام الشهاب
القرافي يعرف الفرق بغير ما اشار اليه ونصه في شرح المحصول
فان قلتم ان معنى العصمة ان لا يصدر عن الانبياء معصية اشكل
بكثير من الصبيان الذين بلغوا وماتوا قرب بلوغهم من غير ان
يعصوا فقد صدق معنى العصمة الذي ذكرتم في حقهم مع انهم
ليسوا معصومين وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين وكثير لم يصدر منهم الكفر ولا الكبائر وليسوا بمعصومين
فلا يكفي في العصمة ان معناها عدم صدور المعصية بل لا بد
من تحرير في هذا المقام وهو انا نقول فاعرف النقيا بمعنى مستحيلة
على الله تعالى والمعاصي مستحيلة على الملائكة والانبياء عليهم
الصلاة والسلام وعلى الامة المحمدية اعني مجموعها وافراد

نقف

Copyright © King Saud University